المسلمين ونهبوا اموالهم اما النصارى فسارعوا الى كنيسة احوديامه الخضراء ولبثوا فيها منذ اوّل الصوم حتى احد الشعانين ١٧ آذار من السنة المذكورة. فحنق عليهم ابن دوري المسلم ووشى بهم على بناء انهم اخفوا اموالاً طائلة وراقبهم الى المحكمة. ولمّا احضروا الاموال اصدر هولاكو الاوامر بقتلهم طبقاً لشريعة التتر. فاستاقوهم عشرين عشرين الى القلعة وقتلوهم قاطبة ولم يَذَروا الّا الشيوخ وقسّيسين فقط. وظلّ الكرسيّ المفريانيّ فارغاً مدّة ستة اعوام.

(لها بقية)

سرّ القربان في الكنائس الشرقيّة

نظر تاريخي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لعقيدة سرّ القربان الاقدس مقام رفيع بين العقائد التي ورثتها الكنيسة الكاثوليكيّة من معلمها الالهيّ ورسله الكرام فبلغت اليها بالوحي في الانجيل الطاهر وبالتقليد المتواتر

ومن مفاخر الكنائس الشرقيّة التي امتازت بها منذ اوائل النصرانيّة تمسّكها الدائم بهذا المعتقد اذ لم يَقُم بينها احد من المبتدعين ينكر هذا السرّ كما حصل في بعض جهات الغرب وذلك في القرن الحادي عشر ببدعة برنجاريوس ثمّ في القرن السادس عشر بالبدع البروتستانيّة التي حرّم اصحابها تبعتهم من اكبر نعم الله نحو البشر وحالوا بينهم وبين ذاك السرّ الذي بلغت فيه محبّة ابن الله الى أن يعطي جسدهُ الالهي ودمهُ الزكي للمؤمنين به ليسكنهم بذلك الى ان يشاركوهُ بطبيعتهِ الالهيّة كما قال القديس بطرس في رسالته الثانية (١ : ٤)

وقد شعر الملك لويس الرابع عشر ما في اعتقاد الشرقيين عموماً من البرهان القاطع لتأييد هذه الحقيقة في وجه من يجحدها والبعض من طوائفهم منفصلة عن رومية منذ

القرن الخامس. ولذلك تقدّم الى المرسلين اللاتينيّين في انحاء الشرق ليجمعوا الشواهد الناطقة بايمان الطوائف الشرقيّة في سرّ الافخارستيا فلمّا اوقفوهُ عليها امر بنشرها وأفحم بها الهراطقة وارتدّ بسببها كثيرون من الضالّين الى حجر الكنيسة الكاثوليكية

وهذا شهر حزيران نكرّر فيهِ كلّ سنة تذكار جسد الربّ بعيد فخيم ورونق عظيم فيحسن بنا ايضاً ان نذكر ايمان اجدادنا الكرام ليثبت الابناء على تعليم آبائهم ولا ينخدعوا بما يشيعهُ البروتستانت من الاضاليل بهذا الخصوص في انحائنا

وها نحن نبيّن ذلك فنجمع الشواهد الدالّة على ايمان الشرقيين بسرّ القربان وسنقسم مقالنا الى ثلثة فصول فنذكر في الفصل الاوّل اقوال الآباء الشرقيين المتبتة باعتقادهم لهذا السرّ الجليل. ونورد في الثاني شواهد الطقوس الشرقيّة عنهُ. ونختمهُ بفصل ثالث نروي فيهِ الآثار الفنيّة التي تؤيّد ايمان الشرقيّين. ونضرب الصفح عن العاديّات والآثار القديمة الناطقة بايمان قدماء المسيحيين لما مرّ من ذكرها في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٦٧٣—٦٨٣) في مقالة ممتعة للقس بطرس عزيز (وهو اليوم رئيس اساقفة سلماس الجليل)

شواهد الآباء الشرقيين في سرّ القربان

١ يحقّ لنا ان نفتتح هذا الباب بما كتبهُ اوّل الشرقيين والاباء المصطفى القديس بولس الذي سرد رواية الانجيل عن انشاء السيد المسيح لهذا السرّ وصرّح بالوقت ذاتهِ عن ايمانهِ وايمان المؤمنين الاوّلين فقال في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١١ : ٢٣—٢٩) :

«اني تسلّمتُ من الرب ما قد سلّمتهُ اليكم انّ الربّ يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزاً وشكر وكسر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر لاجلكم اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري فانكم كلّما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي. فاي انسان اكل خبز الرب او شرب كأسهُ وهو على خلاف الاستحقاق فهو يُجرم الى جسد الربّ ودمهِ . . . انما يأكل ويشرب دينونة نفسهِ اذ لم يميّز جسد الربّ»

فهذه الشهادة الجليلة التي سمعها الشرقيّون من فم اكبر ابناء جنسهم لم تدَع لهم ريباً في معنى كلام الربّ وعن ارادتهِ بتحويل جوهر الخبز والخمر الى جسدهِ

ودمهِ . ولا عجب بعد ذلك ان ترى الآباء الشرقيين يعلنون كالقديس بولس بايمانهم في هذا السرّ

٢ واوّل من جرى في ذلك على اثرهِ احد تلاميذ الرسل ﴿القديس اغناطيوس﴾ المعروف بالنوراني خلف القديس بطرس على كرسي انطاكية († ١٠٧) . فانهُ يذكر القربان الاقدس غير مرّة ولا شبهة في ايمانهِ بهِ فانهُ في رسالتهِ الى اهل ازمير (اعمال آباء اليونان لمين ٥ : ٧١٣) يقرّف المبتدعين المعروفين بالغنوسطيين لجحودهم هذا السرّ فيقول : « انّ هؤلاء يمتنعون عن الافخارستيّا وعن الصلاة لانهم لا يعترفون بكون الافخارستيّا هي جسد مخلّصنا يسوع المسيح الذي تألّم لاجل خطايانا ثمّ اقامهُ الآب من الموت برأفتهِ » . وفي رسالتهِ الى اهل فيلادلفية (مين ٥ : ٧٠٠) يقول : « اجتهدوا بان تتناولوا قرباناً واحداً لان جسد سيّدنا يسوع المسيح واحدٌ هو كأسهُ واحدة في وحدة دمهِ وهيكلهُ واحدٌ »

٣ ومن شرفوا سوريّة في القرن الثاني للمسيح الفيلسوف المتنصّر والشهيد العظيم ﴿القديس يوستينوس﴾ († ١٦٣) . لهُ شهادة رسميّة في حقيقة سرّ القربان . اوردها في دفاعهِ الاوّل عن النصرانيّة لدى القيصر مرقس اوريليوس حيث قال (مين ٦ : ٤٢٨) :

« انّ الذين ندعوهم شمامسة يجاوبون الى الناتين الخبز والخمر الممزوج بماء بعد تحوّلهما الى الافخارستيا . والزاد الذي نحن ندعوهُ افخارستيّاً لا يجوز لاحد ان يشترك فيهِ ما لم يعتقد حقائق ايماننا ولم يكن تطهّر سابقاً بماء المعموديّة وجرى بموجب اوامر السيّد المسيح . لانّنا لا نتخذ هذا الخبز وهذا الخمر كطعام بسيط . ولكن كما انّ السيّد مخلّصنا صار جسداً بقوّة كلام الله واتّخذ حقيقةً دماً ولحماً لاجل خلاصنا كذلك وفقاً للتعليم الذي تسلّمناهُ يتحوّل طعام الافخارستيّا بقوّة كلمة المسيح الى جسدهِ ودمهِ فينمّي بهما جسدنا ودمنا »

٤ ويجوز ان نعدّ من آباء الشرق ﴿القديس ايريناوس﴾ († ٢٠٢) وهو تلميذ القديس بوليكربوس اسقف ازمير وتلميذ الرسول يوحنّا الحبيب قبل ان ينتقل الى غالّيه ويُسقّف على كرسي ليون . لهُ في ردودهِ على الهراطقة اقوال عديدة اعلن فيها عن ايمانهِ بسرّ القربان قال (مين ٧ : ١١٢٦) :

« اننا نقدّم لهُ عطاياهُ اذ نؤكّد من جانب اتّحاد كلمتهِ بطبيعتنا البشريّة اتّحاداً وثيقاً ومن جانب آخر قيامة الجسد الذي يعود الى الاتّحاد مع النفس وكما انّ الخبز الذي اصلهُ من

الارض لا يبقى خبزًا بسيطًا بعد الدعاء الى الله ويتحوَّل الى عنصرين احدهما سماوي والآخر ارضي هكذا اجسادنا بقبولها الافخارستيا لا يستولي عليها الفساد الى الابد بل لها الرجاء بالقيامة الى الحياة الدائمة »

ولا نتعرَّض لشواهد ترتليانوس والقديس قبريانوس وكلاهما من آباء الكنيسة اللاتينيَّة ولنا ما يقوم بدلًا منها في الكنيسة الاسكندريَّة شهادة ﴿ اقليمس الاسكندريّ ﴾ († ٢١١م) ففي كتابه المعروف بالمرشد يذكر مفعول الافخارستيا بشرحه كلمة السيد المسيح « كلوا جسدي واشربوا دمي » (مين ٨ : ٣٢٥ و ٤٠٦) فيقول :

« قد اعطانا الربّ الاغذية الموافقة اذ منحنا جسدهُ وأهراقَ دمهُ . . . ودم الربّ شكلان الواحد بشريّ فدانا به من الهلاك والآخر يمحنا به . فشربنا دم يسوع انما هو اشتراكنا بهِ بعدم الفساد فكما ان الخمر تمزج بالماء هكذا يتحد الانسان بالروح . فالخمر يمنح الايمان والروح يمنح النجاة من الفساد فامتزاج الروح والمشروب تألَّف الافخارستيا تلك الموهبة التي يتقدَّس المشتركون بها جسمًا ونفسًا »

٥ وكذلك ﴿ اوريجانس ﴾ المعلم الكبير معاصر اقليمس الاسكندري ومواطنهُ فهو ايضًا يجاهر بايمانهِ في سرّ القربان الاقدس . فمن اقوالهِ ما ورد في شرحهِ على سفر العدد (مين ١٢ : ٣٩١) حيث يحرّض سامعيهِ على حفظ كلام الله فيتخذ مثلًا لاقناعهم عظمَ اهتمامهم بكرامة جسد الرب قال :

« انكم انتم الذين تحضرون معنا اقامة الاسرار باي احتراس واي اكرام تحفظون جسد الربّ لئلَّا يسقط منهُ شيء على الحضيض فتعدُّون تقوسكم مجرمين وذلك بكلّ حقّ اذا جرى ذلك باهمالكم فكم بالاحرى يجب عليكم ان تحفظوا في قلوبكم كلمة الله »

وهو القائل في محلّ آخر من هذا التفسير (مين ١٢ : ٦١٣) :

« انَّ المعموديَّة كان مرموزًا اليها سابقًا بالبحر (الاحمر) وبالسحابة (في البريَّة) اما الآن فهي تُمنح حقيقةً بالماء والروح . وكذلك أُعطي المنّ سابقًا كطعام بالرمز اما الآن فيعطى بالحقيقة جسد كلمة الله فانهُ طعام حقيقيّ كما هو ذاتهُ أعلمنا بهِ قائلًا : انَّ جسدي مأكل حقيقي ودمي مشربٌ حقيقيّ »

٦ وما اجمل ما قالهُ القديس اثناسيوس يخاطب المصطبغين بالمعموديَّة (مين ٢٦ : ١٣٢٥) :

«سترون الشمامسة يحملون خبزًا وكأس وخمر فيجعلونها على المائدة فطالما لا يُتلى عليها صلوات وادعية يبقيان خبزًا وخمرًا. ولكن عندما تُتلى عليها الصلوات الجليلة العجيبة فحينئذٍ يصير الخبز جسد سيدنا يسوع المسيح ويحتوي الكأس دمهُ»

٧ ونضيف الى هؤلاء الآباء المصريين شهادة احد كواكب نسّاك الصعيد القديس مكاريوس المعروف بالكبير فقد جاء في بعض تعليماته ما تعريبهُ (من مجموعة اعماله في باريس ١٨٧٦): اخذ السيد المسيح الخبز والكأس فقال: «هذا هو جسدي وهذا هو دمي. وليس الجسد صورةً ولا الدم رمزًا كما تشدَّق بعض الذين ضرب العمى على ذهنهم لكن جسد المسيح الحقيقي ودمهُ الحقيقي»

٨ وما قولنا بلبنان الكنائس السريانيَّة القديس افرام († ٣٦٣) كنّارة الروح القدس فانَّ في مدارشهِ وتسابيحهِ كثيرًا من النصوص الناطقة بايمانهِ في سرّ القربان نختار منها اسطرًا قليلة (اطلب مجموعة لامي ١: ٤٠٦ و٤٢٢) قال بعد ان روى عمل المسيح في العشاء السرّي:

«خذوا وكلوا جميعًا من هذا الخبز الذي قدَّستهُ كلمتي. فانا انا مُطعيكم لا تعتبروهُ خبزًا عاديًا فانهُ بالحقيقة هو جسدي كما قلتُ تستطيع حبَّة صغيرة من فتاتهِ ان تقدّس الوف الالوف من البشر وتكفي لتهبَ الحياة لكل من يأكلها»

ثم يروي كذلك تقديس المسيح للكأس كما ورد في الانجيل ثم يردف قائلًا: «امر المسيح تلاميذهُ ان يشربوا وشرح لهم انَّ ما يشربونهُ من الكأس هو دمهُ حيث قال: «هذا هو دمي الحقيقي الذي يُهرَاق لاجلكم جميعًا فخذوا واشربوا منهُ كلكم فهو العهد الجديد بدمي وكما رأيتموني صنعتُ هكذا تصنعون لذكري»

٩ ومن ملافنة وطننا العزيز القديس كيرلُس الاورشليمي († ٣٨٦) فانهُ اغنى الكنيسة بعدَّة تآليف اخصُّها شروحهُ للتعاليم المسيحيَّة وهي خلاصة الايمان الكاثوليكي. قال (مين ٢٣: ١٠٩٧ و١١١٠):

«ليس خبز القربان بعد ان تُتلى عليهِ دعاء الروح القدس خبزًا عاديًا بل هو جسد المسيح. اذ كيف نستطيع ان نشكَّ بالامر بعد ان نسمعهُ يقول عن الخبز: هذا هو جسدي؟ او كيف يُنكر انَّ في الكأس دمهُ بعد ان قال مؤكّدًا: «هذا هو دمي» ... انَّ المسيح يعلمك جسدهُ تحت عرض الخبز ودمهُ تحت عرض الخمر لكي بتناولك جسدهُ ودمهُ تضحي شريكًا معهُ وخليطًا بجسدهِ ودمهِ» ... انّنا نؤمن كونهُ حوَّل في عرس قانا الماء الى خمر فكيف

لا نقرّ مترفين بانهُ حوّل الخمر الى دمهِ. فعل الاوّل في وليمة بشريّة فكم بالحري يجب تصديق قولهِ في هذه الوليمة الروحيّة التي يقدّمها لابناء الخدر الروحي انهُ منعم بجسدهِ ودمهِ

١٠ ولنختم نخبتنا هذه من اقوال الآباء ببعض من اقوال القديس يوحنّا فم الذهب الانطاكي امير الخطباء ورئيس اساقفة القسطنطينيّة († ٤٠٧) قال في شرحهِ على انجيل متى (متى ٥٨ : ٧٤٣) :

« في الاسرار لا نحصرنّ نظرنا في ما يقع تحت الحواس فقط بل نوجّه فكرنا الى اقوال الربّ لانّ كلمتهُ لا يمكنها ان تخدعنا بخلاف حواسّنا التي تنخدع بسهولة. ولانهُ تعالى قال : « هذا هو جسدي » فلنُذعن الى قولهِ آمنين ولننظر اليهِ باعين الروح لانّ السيّد المسيح لم يعطنا شيئاً محسوساً فقط بل جعل تحت المحسوسات اشياء روحيّة كلها . . . فبأيّ طهارة يجب ان يكون ذاك الانسان المتمتّع بهذه الذبيحة »

وقال في ميامرهِ على رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتوس (متى ٦٧ : ٢٠٠—٢٠٣) : « ما هو الخبز الذي تشترك بهِ ؟ هو جسد المسيح . وماذا يحصّل المؤمنون باشتراكهم بهِ ؟ يحتملون على ان يضحوا كذلك جسد المسيح فلا يبقون اجساداً مختلفة بل يُصيرون جسداً واحداً . كما ان الخبز يتركّب من حبوب عديدة تُعجَن فتصبح خبزاً واحداً . . . ولذلك قد اعطانا هذا الخبز ليكون ذخيرتنا وطعامنا فعبّر بعطيّتهِ عن محبّتهِ البالغة نحونا »

هذه الشواهد كافية لإثبات ما سبق لنا من القول عن اتّفاق الآباء في ايمانهم عن حقيقة وجود جسد الربّ ودمهِ في القربان الاقدس وان لم نتجاوز القرن الخامس للنصرانيّة ولم نذكر كثيرين من الآباء القديسين كغريغوريوس النزيانزي واخيهِ غريغوريوس نيصص وباسيليوس وكيرلّس الاسكندري وتاودوريطس الخ فانّ لهم جميعاً نصوصاً واضحة في شأن القربان الاقدس

٢ سرّ القربان الاقدس في الطقوس الشرقيّة

ليس غرضنا هنا ان نذكر تاريخ الطقوس الشرقيّة واصل توافيرها . فانّها ان لم ترتقِ في صورتها الحاضرة الى اوائل الكنيسة والى عهد الرسل فهي بلا شكّ قد استقت جوهر تلك الطقوس من موارد كان ينبوعها الاوّل رسل السيّد المسيح لاسيما الناقور المنسوب الى القديس يعقوب الرسول اسقف اورشليم المعروف بابن حلفى

على انّ العلماء في عهدنا اكتشفوا رتباً بيعيّة اقدم عهداً من الطقوس الشرقيّة الحاليّة. واشهرها الكتاب المعروف بتعليم الرسل (Διδαχὴ) الراقي الى اواسط القرن الثاني ولعلّهُ اقدم من ذلك كان لاكتشافه رنّة استحسان بالغة. ومنها المراسيم الرسوليّة من القرن الثالث معما اوردتهُ من ليتورجيّة القديسَيْن اكليمنضوس وهيبوليطس فان في هذه التآليف كلها فصلاً لتقديس الخبز والخمر ليصبحا للمؤمنين طعاماً روحيّاً لا يجوز ان يشترك فيهِ غير المعمّدين. واتّصال هذه الرتب بالعهد الرسوليّ ظاهر مقرّر. ولعلّ الليتورجيّة المنسوبة الى القديس يعقوب هي صدى لتلك الليتورجيّات الرسوليّة القديمة (اطلب مقالة الخوري جدعون ألوسي في هذا الصدد في المشرق ٨ [١٩٠٥]: ٦٧٧—٦٨٧)

فلنذكر الآن بعض الشواهد المقتطفة من الليتورجيّات الشرقيّة الشائعة منذ الزمن القديم بين الطوائف وذلك على حسب ترتيب حروف المعجم

﴿الارمن﴾ تتّصل ليتورجيّتهم بليتورجيّة القديس يعقوب والليتورجيّة اليونانيّة في القرن الرابع. فممّا يتلوهُ الكاهن بعد الكلام الجوهري ما تعريبهُ:

«اللهمّ انّا نسجد لك ونطلب اليك ايها الربّ الرحوم ان تسكب علينا وعلى مواهبك هذه التي نقدّمها الآن الروح القدس الذي منك ومن جوهرك منذ الازل والذي بهِ قدّست هذا الخبز ليصير بالحقّ واليقين جسد سيّدنا يسوع المسيح وقدّست هذه الكأس لتصير حقّاً ويقيناً دمَ سيّدنا المسيح محوّلاً اياها بقوّة روحك القدوس. وامنحنا نحن المجتمعين هنا كلّنا ان نتقرّب الى هذا السرّ فلا يضحي لدينونتنا بل لمغفرة خطاياناً والتكفير عنها»

وهذا على سواء في قداس الارمن الكاثوليك والارمن الغريغوريين

﴿الحبش﴾ اخذوا الايمان عن احد مواطنينا السوريين القديس فلجنسيوس في القرن الرابع. وايمانهم في القربان كايمان سواهم من الطوائف لا اختلاف بينهم في ذلك كاثوليكيين كانوا ام يعاقبة. فمن ذلك ما يقولهُ الشعب بعد تلاوة الكاهن الكلام الجوهري على الخبز: «نعم انّا نعترف ونؤمن بان هذا هو حقيقةً جسدك ايّها السيد المسيح فنبارك». وكذلك بعد تقديس الخمر يقول: «امين انّنا نؤمن بانّ هذا هو دمك». ثمّ يقول الكاهن كلمة الربّ: «اصنعوا ذلك لذكري» فيجيب الشعب: «حقّاً انّنا نذكر موتك يا ربّ ثمّ نؤمن بقيامتك المقدّسة وبصعودك العجيب

الى السماء وبمجيئك ثانية يوم الدين» ثم يردف قائلاً: فلنتقدّم امام وجه المسيح ونبجّله بايمان فان اجواق الملائكة مخلصنا واقفة امامهُ وهي تحجب باجنحتها جسدهُ الطاهر ودمهُ الثمين» - وعندما يقدّم الكاهن جسد الرب للمتناولين يقول: «هذا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء. هذا جسد عمّانوئيل الهنا الثمين حقيقةً». ويقول عند تقدمة الكأس: «هذا كأس الحياة الذي نزل من السماء. هذا دم المسيح الكريم»

﴿الروم الملكيّون﴾ المتّحدون مع الكرسيّ الرسولي والمنفصلون على حدّ سواء. فممّا يقول الكاهن في ليتورجيّة القديس يوحنا فم الذهب:

«انا اؤمن يا رب واعترف بأنك انت هو المسيح ابن الله الحيّ.. وايضاً اومن بان هذا هو جسدك الطاهر ودمك الكريم. اقبلني اليوم شريكاً في عشائك السرّي يا ابن الله... لا تتشكك ايها الرب منّي انا الخاطئ.. اجعلني مستحقاً ان اتناول من جسدك ودمك المقدّس.. اجعلني مستحقاً حتى بغير دينونة اقتبل جسدك الكريم الطاهر لاجل شفاء نفسي وجسدي»

ويقول في الاودية السابعة:

«ايها المسيح الصالح وحدك فليغمر لي الآن تناولي اسرارك النير المائتة ينبوع الخيرات ونوراً وحياةً ونجاةً من الأهواء وداعياً الى النجاح والنموّ في الفضيلة الالهيّة»

﴿السريان﴾ الكاثوليك منهم كما اليعاقبة لا يختلفون في معتقدهم بسرّ القربان وتحوّل الخبز والخمر الى جسد ودم السيد المسيح بقوّة كلامهِ الجوهري ونعمة الروح القدس. وكتبهم مشحونة بالآيات المبنية بايمانهم فنجتزئ ببعض ما ورد من ذلك في كتاب الفنقيط في يوم خميس الاسرار:

«في هذا اليوم قال سيدنا لجماعة رسلهِ المحبوبة: اني شهوةً اشتهيتُ أن آكل معكم هذا الفصح قبل ان اتألّم واتمّم النبوّات. في هذا اليوم اخذ سيدنا خبزاً بيديهِ المباركتين فباركهُ وكسّرهُ وقدّسهُ واعطاهُ لجماعة تلاميذهِ فآمنوا بانهُ هو ابن الله. فلنسبّح ليسوع ولكنا ونسجد لهُ وهو الذي اعطانا جسدهُ المقدّس ودمهُ الذكي فداء لنا... فلسنا اذن نأكل فطيراً لكن جسدك المقدّس ولا نتشبّع بدم الحملان بل بدمك يا الله الكلمة»

﴿القبط﴾ يرقّون ليتورجيّتهم الى القديس كيرلّس الاسكندري والى آباء الكنيسة اليونانيّة المعروفين بالثلثة الاقمار. فمما جاء فيها بعد تكريس الاقداس قول الكاهن:

« أرسل يا سيّدنا روحك القدوس على هذه المائدة الموضوعة امام مجدك المقدّس ولتكن مذبحاً روحياً لتكميل الذبيحة الناطقة والغير الدمويّة اي الجسد المقدّس والدم الكريم اللذَين لابنك الوحيد وليكن طهارةً ودواء وبركةً روحيّةً لكافّة الذين يدنون منهُ وبحدًا وفخرًا لاسمك القدّوس »

ويقولون في ليتورجيّتهم المنسوبة الى القديس باسيليوس :

« انّ هذا هو جسد ودم عمّانوئيل الهنا بالحقيقة . هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلّصنا يسوع الذي اخذهُ من سيّدتنا وملكتنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم وجعلهُ واحدًا مع لاهوتهِ بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير هو يعطي منّا خلاصاً وغفرانًا للخطايا وحياةً مؤبّدة لمن يتناول منهُ . امين انّهُ هكذا هو بالحقيقة »

﴿الكلدان﴾ ومثلهم النساطرة يعدّ العلماء نافورهم من اقدم النوافير الباقية الى اجيال النصرانيّة الاولى . يقول الكاهن في قداسيم المنسوب الى الرسل :

« هذا هو الجسد الحي والمحيي الذي نزل من السماء واعطى الحياة للعالم كلّهِ اجمع لكني لا يموت من يتناولهُ بل بهِ ينالون الخلاص وبهِ يتطهّرون من خطاياهم ويحيون الى الابد . . . اننا نتقرّب يا ربّ بايمان حي باسمك الى هذه الاسرار المقدّسة . . فلتحلّ علينا وعلى هذا القربان نعمة الروح القدس الجاعل هذا الخبز بقوّة اسمك جسد ربّنا يسوع المسيح حتى ان كلّ من أكل من هذا الخبز بايمان وشرب من هذه الكأس يكون ذلك لهُ لمحو الآثام ولغفران الخطايا ورجاء القيامة من بين الاموات وخلاص النفس والجسد والحياة الجديدة في الملكوت السماوي »

﴿الموارنة﴾ كالسريان عريقون في ايمانهم منذ اوّل تاريخهم بالقربان الالهي . وقد جمع الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس في خطبةٍ القاها سنة ١٨٩٣ في المجتمع الاوخاريستي في اورشليم ثمّ المسيو بطرس حبيقة وحضرة شقيقهِ القس يوسف سنة ١٩٠٨ شهادات الكنيسة المارونيّة الصادعة بوجود جسد المخلص ودمهِ في سرّ القربان الاقدس فنُحيل القرّاء الى ما نشروهُ مكتفين بذكر قطعةٍ من الاقراميّات التي تقال قبل تلاوة رسالة مار بولس نجعلها مسك ختام هذا الباب :

« لقد حسن لدى الربّ ان يكون ذبيحةً من اجل الأمّة ليُحييهم فسلّط الكهنة بجودهِ على كسر جسدهِ ومناولة دمهِ الحي للبيعة خطيبته . يروّع جماوهُ طغمات الملائكة فيقومون على خدمتهِ وتراهُ مروّعاً على بني آدم بنوع عجيب . . قد منح لبيعتهِ اسرارًا جليلة لا توصف

وخلّصها بآلامه واحياها بموته واعتقها بقيامه فتأكل جسده ولا تتردد وتشرب دمه ولا تتوانى قد تاق الانبياء الى هذا السرّ وها هوذا مستمرٌّ في البيعة خلاصاً للشعوب . كانت ذبائح موسى وهارون وتقادم نوح وابرهيم وملكيصادق صورةً لسرّ جسد ابن الله ودمه »

٣ الآثار الكنسيّة

في الكنيسة الكاثوليكيّة ما خلا الآثار الكتابيّة والليتورجيّة التي تستند اليها لاثبات اتيانها شواهد أُخرى لا تنطق بالشفاه بل بلسان حالها الّا انّ نُطقها ذلك بليغٌ يؤثر في حواسّ المؤمن ويحيك في شواعر قلبه

فمن ذلك كثير من آثار الديامس التي مرّ ذكرها مع صورها (المشرق ٤ : ٦٧٣) كالخبزات التي يصلّي عليها الكاهن والسمكة الدالّة الى المسيح والقفف السبع التي كثّرها الربّ وكسطول الحليب يقربها الخراف التي تستقي منها وكذلك زجاجات الخمر المقدّس والماء الحيّ وغير ذلك ممّا لا تخفى رموزه وتصرّح كتابات الديامس بمعانيه

ومن هذه الآثار ذات الكنائس الكاثوليكيّة التي كانت في كلّ آن ومكان في الشرق والغرب آياتٌ هندسيّة تشير بنفس بنائها ونقوش هندستها الى الضيف الكريم النازل فيها . ولاسيما الهياكل المثيلة العرش الجالس عليه ابن الله بجسده ودمه محجوباً وراء الاستار وقُبب القربان او حواجز الايقونستسات . على خلاف معظم كنائس البروتستانت والمبتدعين فانّها نوادر ومسارح اكثر منها كنائس وبيوت الله

ومنها الحلل الكهنوتيّة من حليّ كبار الاحبار الى ابسط دروع الشمامسة فكلّها ترمز الى جلال السرّ الذي يخدمونه وما تستدعي خدمته من الوقار والتبجيل والنقاوة . وبين هذه الحلل ما يتألّف من أجود وأثمن ما يعرفه البشر من ملابس الحرير والكتّان ومن الحليّ المحبوكة بالقصب والمزركشة بالذهب والفضّة ومن التيجان المرصّعة بالحجارة الكريمة والمكاكيز المختلفة النقوش والاشكال . ولولا اعتقاد الكنيسة بعظم سرّ القربان وجلال المحجوب تحت اعراضه لأنفت عن هذه الابهة واعرضت عن هذه النفقات الطائلة

وما قولنا بآنية التقديس التي يصطنعها أبرع الصنّاع ويصوغونها من اجود المعادن

ولا يدّخرون في استحضارها نفقة او عناءً يخلب منظرها ألباب ناظريها في خزائنها او في المعارض الدولية فيدلُّ جمال فنونها على عظمة المولى المكرَّمة لخدمته

وهذه الآنية كانت في اوائل النصرانية بسيطة ساذجة لاجل الاضطهادات التي كانت تقاسيها الكنيسة الّا انّ تلك الآنية نفسها تشهد لايمان اصحابها . منها اكواب زجاجية مصفّحة بالذهب كانوا يجعلون فيها الخمر المقدّسة مكتوباً عليها : «اشرب فتحيا» . وفي متاحف الفاتيكان بعض من تلك الآنية المختصّة بالقربان . وفي متحف حضرة الآباء البيض في الصلاحيّة في القدس الشريف وفي غيره مصنوعات من الذهب او من الفضّة تمثّل الحمام كانوا يجعلون في قلبها القربان الاقدس فيحفظونهُ لحاجة المرضى ولزادهم الاخير

وكذلك كؤوس التقديس فان بينها ما تُرى عليهِ كتابات مبنية بايمان ذويها . فمن ذلك كأس واقية الى القرن الخامس وصفها القديس اوبتاتس (ك ٦ ف ٢) كان مرقوم على قاعتها «كأس لحمل دم المسيح» . ومثلها الصينية مع القفص البديع الذي يُجعل عليها في الكنيسة اليونانية كثيراً ما يُكتب عليهِ : «ابسط يا رب يمينك على هذا القفص المبارك الذي يحجب تحتهُ دقائق جسدك الطاهر المتأجج الجمرات والذي سوف يقرّب على الهيكل» — وكذلك ايضاً الاندميي الذي يُبسط تحت الكأس والذي عليهِ تصاوير قبر المسيح وقيامتهِ

وفي نفس الخبز المعدّ للقربان تُطبع نقوش رمزيّة الغاية منها إعلان النصارى بايمانهم بسرّ الافخارستيا العجيب

فترى انّ ايمان الشرقيين منذ عهد الرسل الى اليوم لم يختلف ذرّةً بخصوص اعتقادهم لسر جسد ودم ابن الله في قربانهِ يكفي لكل مخالف ان يطالع كتابات آبائهم وان يتصفّح كتب طقسيّاتهم او يلقي بنظرهِ الى معابدهم ويعتبر كل تصرّفاتهم في مزاولة سرّ القربان لكي يقرّ شاء أم أبى بان الشرق لم يحد من هذا القبيل في ايمانهِ عن الكنيسة الجامعة جعلهُ الله سرّ محبّتهِ رابطاً بين قلوب كل اهل النصرانية بوحدة الايمان وائتلاف القلوب امين اللهمّ امين